من أساليب العربية في الدعاء

للدكتور ابراهيم السامرائي
عضو مراسل في المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

أريد أن أعرض لكلمة « الدعاء » في لغة التنزيل العزيز ثم أخلص من ذلك الى النظر في الدعاء لغة واسلوبا .

قال الله تعالى : « وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين » (١) .

قال ابو اسحق الزجاج

يقول : ادعوا من استدعيتم طاعته ورجوتم معونته في الاتيان بسورة مثله » (٢) .

وقال الفراء : « وادعوا شهداءكم من دون الله » .

يقول : آلهتكم ، يقول : استغيثوا بهم ، وهو كقولك للرجل : اذا لقيت العدو خاليا فادع المسلمين ، ومعناه : استغث بالمسلمين ، فالدعاء ههنا بمعنى الاستغاثة .

وقد يكون الدعاء عبادة كما في قوله تعالى : « ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم (٣) » ، وقوله بعد ذلك : فادعوهم فليستجيبوا لكم .

---

(١) ٢٣ البقرة

(٢) اللسان (دعو)

(٣) ١٩٤ الاعراف

يقول : ادعوهم في النوازل التي تنزل بكم ان كانوا آلهة كما تقولون يجيبوا دعاءكم ، فان دعوتموهم فلم يجيبوكم فانتم كاذبون انهم آلهة .

وقال ابو اسحاق في قوله : « اجيب دعوة الداع اذا دعان » (٤) :

معنى الدعاء لله على ثلاثة أوجه : فضرب منها توحيده والثناء عليه كقولك : يا الله لا اله الا انت ، وكقولك : ربنا لك الحمد ، اذا قلته فقد دعوته بقولك : « ربنا » ثم اتيت بالثناء والتوحيد .

ومثله قوله تعالى : « وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي ... » (٥) فهذا ضرب من الدعاء ، والضرب الثاني : مسألة الله العفو والرحمة وما يقرب منه كقولك : اللهم اغفر لنا ،

والضرب الثالث : مسألة الحظ من الدنيا كقولك : اللهم ارزقني مالا وولدا ،وان سمي هذا جميعه دعاء ،لان الانسان يصدر في هذه الاشياء بقوله : ياالله يا رب يا رحمن ، فلذلك سمي دعاء .

وفي حديث عرفة : اكثر دعائي ودعاء الانبياء قبلي بعرفات لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وانما سمي التهليل والتحميد والتمجيد دعاء لانه بمنزلته في استيجاب ثواب الله وجزائه كالحديث الآخر :

اذا شغل عبدي ثناؤه علي عن مسالتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين ،

---

(٤) ١٨٦ البقرة

(٥) ٦٠ غافر

واما قوله عز وجل :

« فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين » (٦) ، المعنى انهم لم يحصلوا مما كانوا ينتحلونه من المذهب والدين وما يدعونه الا على الاعتراف بأنهم كانوا ظالمين ، هذا قول ابي اسحاق (٧) .

قال : والدعوى اسم لما يدعيه ، والدعوى تصلح ان تكون في معنى الدعاء ،

لو قلت : اللهم اشركنا في صالح دعاء المسلمين او دعوى المسلمين جاز ، حكى ذلك سيبويه ، وانشد :

قالت ودعواها كثير صخبه

واما قوله تعالى : « وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين » (٨) فيعني ان دعاء اهل الجنة تنزيه الله وتعظيمه ، وهو قوله:

« دعواهم فيها سبحانك اللهم » (٩) ثم قال : « وآخر دعواهم . . . » .

اخبر انهم يبتدئون دعاءهم بتعظيم الله وتنزيهه ويختمونه بشكره والثناء عليه ، فجعل تنزيهه دعاء وتحميده دعاء ، والدعوى هنا معناها الدعاء .

وروي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ انه قال : الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ : « وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي » (١٠) .

---

(٦) ٥ الاعراف

(٧) اللسان (دعو)

(٨) ١٠ يونس

(٩) ١٠ يونس

(١٠) ٦٠ غافر

وقـــال مجاهد في قوله :

« واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهـــم بالغداة والعشيء » (١١) ، قـــال : يصلون الصلوات الخمس .

وروي مثل ذلك عـــن سعيد بن المسيب في قوله تعالى :

« لن ندعو من دونه الهـــا » (١٢) ، أي لن نعبد الهـــا دونـــه .

والدعاء : الرغبة الى اللـــه ــ عز وجل .

وفي الحديث : لولا دعوة أخينـــا سليمان لاصبح موثقا يلعب بـــه ولدان أهل المدينة ، يعني الشيطان الذي عرض لـــه في صلاته ، وأراد بدعوة سليمان ــ عليه السلام ــ قولـــه : وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد مـــن بعـــدي .

ومنـــه الحديث : « سأخبركم بأول أمري دعوة ابي ابرهيم وبشارة عيسى » ، دعوة ابرهيم ــ عليه السلام ــ قولـــه تعالى : « ربنـــا وابعث فيهم رسولا يتلو عليهم آياتك (١٣) ،وبشارة عيسى ــ عليه السلام ــ قولـــــه تعالى : « ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمـــد ».

وفي حديث معاذ ــ رضي الله عنه ــ لمـــا أصابه الطاعون قال : ليس برجز ولا طاعون ولكنه رحمة ربكم ودعوة نبيكم ــ صلى اللـــه عليه وسلم ــ ، أراد قوله : اللهـــم اجعل فناء أمتي بالطعن والطاعون .

: دعوت الله لـــه بخير وعليه بشر .

---

(١١) ٢٨ الكهـــف

(١٢) ١٤ الكهـــف

(١٣) ١٢٩ البقـــرة

والدعاء واحـــد الادعية .

هـــذا هو معنى الدعاء ودلالته في اللغـــة والاستعمال .

وقـــد بلغت العربية في اسلوب الدعاء مبلغا قل أن نقف على نظيره في سائر اللغات القديمـــة .

قلـــت : « اللغات القديمة » لاخصص أن هـــذا الاسلوب في صوره ودلالاته خاص بالعربية القديمة وأن العربيـــة المعاصرة قد خلت من هذه الصور البيانية التي تبرز في أساليب الدعـــاء والاساليب الاخرى . الا ترى أن هـــذه العربية الجديدة قد خلت من « المثل » وان كل ما يتمثـــل بـــه المعربون أحيانا هو مثل قديـــم استعير لمطالب الحياة الجديدة فـــي بعض الاحايين . وقـــد يقال : ان اللغات في عصرنا غير محتاجة الـــى هذه الالـــوان الفنية لان حاجات جديدة قد جدت صرفت المعربين الـــى أن يجدوا في اللغـــة ما يفي بها .

ومـــن هنا كانت دراسة هذه الأساليب القديمة والوقوف عليهـــا شيئا يدخل في معرفة تاريخ هذه اللغـــة العريقة .

قالوا : الدعاء ينصرف للخـــير كما ينصرف للشر ، وقـــد يدرك هذا أحيانا باستعمال الأداتين : « اللام » في الخير ، و « على » في الشر فيقال : ادعو لك ، وادعو عليـــك .

ويتجاوز استعمال هاتين الأداتين اسلوب الدعاء الـــى اسلوب « الخير » فينصرف كذلك الى الخير والشر فيقال مثلا : يوم لنا ويوم علينا

وقـــد بقي في استعمال « على » شيء من هـــذا الجنوح الـــى

الشر (١٤) ، ولعل من اجل ذلك عيب قول ابي تمام في مطلع قصيدته البائية :

علـــى مثلها من اربـــع وملاعـــب اذيلت مصونات الدموع السواكب

قلت : ان الادب القديم قـــد حفل بكثير من فنون الدعاء ولنعرض لذلـــك فنقـــول :

تختلف جمل الدعاء في العربية فهي قد تبـــدأ بالفعل ، وقد تبـــدأ بالاسم المرفوع ، وقد تبـــدأ باللام ومدخوله ، وكثيرا ما يأتي معنـــى الدعاء في عبارة صدرت بالمصـــدر المنصوب .

فممـــا بدىء بالفعل قولهم :

هديت خيرا (بالبناء للمفعول) ، ولقيت خيرا ، وصادفت رشـــدا ، ووقيت الشر ، وسهل اللـــه عليك ، وفرج الله عنك ، كل ذلك وغيره مما يتقرب بـــه دعاء . ولك ان تتسع في هذا فتنشىء ما تريد مما ترمي بـــه الى الخير مفصحا عن رغبتك في ذلـــك ، فيؤدي الدعاء كأن تقول : هداك اللـــه وبلغت مرادك ، ووفقك الله .

ومثل هذا ما ينصرف الى الشر ارادة الدعاء نحـــو :

عدمت خيرا ولقيت شرا ، وقاتلك الله ، ولعنك الله وغير ذلك .

ومـــن هذا الفاظ التصلية والتسليم والرحمة والرضوان علـــى النبيين والاولياء وسائر الصالحين فنقول في « الصلاة والسلام » علـــى نبينـــا محمد : صلى الله عليه وسلم .

ونقول : عيسى وموسى وسائر الانبياء : عليهـــم السلام .

---

(١٤) على انه ينبغي الاحتراز في هذا فنقول : قد تستعمل « على » في الدعاء للخير كقولنا: عيسى ــ عليه السلام ــ وغيره من انبياء الله مثلا .
بكان يقال : عليه ازكى الصلاة واتم التسليم .

ونقول : ومـن حديث علي ـ عليه السلام ـ او رضي الله عنه ، وقد ورد ايضا كرم اللـه وجهه .

ونقول : وكان عثمان بن عفان ـ رضي الله عنـه ـ .

كما نقول : ومما اثر عن الامام الشافعي واضرابه : رضي الله عنهم

وقـد تبدأ عبارة الدعاء بالاسم المرفوع نحـو :

رحمة الله عليه ، ورضوان اللـه عليه ، وسلام الله عليه ...

كما نقول : لعنة اللـه عليه (١٥) ، وقـد يعطف عليه كقولهم : لعنة الله وغضبه عليه .

وقـد يؤخر المرفوع فيبدأ باللام ومدخوله نحـو .

لـك الحمد ولك الخير ولك السعد .

كما نقول : لك الله ، قال المتنبي في رثـاء جدته :

لـك الله من مفجوعة بحبيبها قتيلة شوق غير ملحقها وصمـا

كما يقـال : لـك الويل ، قال الفـرزدق:

لـك الويل لا تقتل عطية انـه ابـوك ولكـن غيره فتبـدل

وقـد ترد عبارة الدعاء مصدرة بـ « لا » النافية بعدها فعل ماض نحـو : لا فض فوك في استحسان قول احدهم كأنه قيـل : احسنت .

والمعنـى : لا تكسر اسنانك ، والفم ههنا الاسنان كما يقـال : سقط فـوه يعنون الاسنان .

وقـد ترد العبارة بالفعل المضارع : لا يفضض الله فاك .

---

(١٥) اقول : والدعاء باستعمال « غضب الله » ينزل بالمدعو عليه من لغة العامة ايضا في عصرنـا .

ومن ذلك حديث النابغة الجعدي لما انشد الرسول الكريم القصيدة الرائية قال : لا يفضض الله فاك ، قال : فعاش مائة وعشرين سنة لم تسقط له سن .

وفي حديث العباس بن عبد المطلب انه قال : يا رسول الله اني اريد أن امتدحك ، فقال : قل لا يفضض الله فاك ، ثم انشده الابيات القافية .

ومثل هذا : لا عدمتك ، ولا ظفر حاسدوك .

ومن المناسب ان نشير الى أن الفعل « زال » المفيد للاستمرار يترشح للدعاء اذا سبقه « لا » كقول ذي الرمة :

الا يا اسلمي يا دار مي على البلى ولا زال منهلا بجرعائك القطر

ومن المفيد ان اشير قبل الكلام على « انهلال القطر » في البيت ، الى ان صدر البيت قد حفل بنمط آخر من الدعاء وذلك بالامر في « يا اسلمي » والخطاب الى « دار مي » . يدعو الشاعر للدار ان تسلم على البلى فلا ينال منها الزمان شيئا .

اقول : واستعمال الامر كثير في لغة الدعاء ، ولعله اكثر سيرورة من الصيغ الاخرى وهذا يعني ان « الامر » قد خرج الى الدعاء والالتماس رغبة في شيء ينصرف الى الخير حينا والى الشر حينا آخر . ويأتي في لوازم هذه الجمل الدعائية اسلوب النداء المتمحض للدعاء كقولنا: اللهم انصرنا على الاعداء ، وربنا اهدنا الى سواء السبيل . وانت واجد من هذا الاسلوب الشيء الكثير مما حفلت به لغة التنزيل العزيز كما سنرى .

ولنعد الى بيت ذي الرمة فنقول ان دعاءه بانهلال القطر اسلوب درج عليه العرب في جاهليتهم واسلامهم . وان هذا الدعاء

يكاد يكون احيانا كالتحية الا ترى ان هـذا يتحقق في قول النابغة :

نبئت نعما على الهجران عاتبة سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري

فاذا كان غيث (١٦) كان منه لهـم سقي وخصب ثـم رعي .

وليس قولهم : « رعاك الله » الا مشيرة الى هـذا الاصل القديم الذي هو الرعي للسائمة من الابل وغيرها ، فكان قولهم « رعاك اللـه » المراد بهـا « الرعاية » تلمح الى دأب الرعاء مع ابلهـم .

ومـن الغيث قالوا جـادك الغيث اي أصابا غيـث جود وهو الغزيـر .

والدعـاء بالسقي كثير في الادب القديم ، قـال جرير :

أتذكـر اذ تودعنا سلمـي بفـرع بشامة سقي البشام

وقولـه :

متـى كان الخيام بذي طلوح سقيت الغيث ايتهـا الخيام

وليس اتفاقا أن يجيء « الغوث » بمعنى النجـدة من « الغيث » وهو الرحمة والخصب والخير والبركة ، وهو غير « المطـر » في هذه الخصوصية الدلاليـة .

قـال الاصمعي : اخبرني أبو عمرو بن العلاء قـال :

سمعت ذا الرمة يقول : قاتل الله امـة بني فلان ما افصحها !

قلت لهـا : كيف كان المطر عندكم ؟ فقالت غثنا ما شئنا .

---

(١٦) أقول فرق العرب بين الغيث والمطر فكان الغيث في الاغلب الاعم خيرا وخصبا وبركة، ولن يكون عذابا البتة ، اما المطر فينصرف الى العذاب ، كما ينصرف الى حقيقته غير انه لم يرد في القرآن الا في معرض العذاب والشر وذلك في خمس عشرة آية في سور مختلفـة .

والمعنى : سقينا ما شئنا . وهكذا عدلت عن « المطر » في سؤال السائل الى « الغيث » ..

وقد تأتي عبارة الدعاء مبدوءة بمصدر منصوب كقولهم : سقيا ورعيا ، وحمدا لك اللهم ، وأهلا وسهلا وغير هذا .

وقد يأتي أسلوب الدعاء رسما من رسوم الادب مما يقتضيه الظرف وحسن المعاشرة ، ومن ذلك قولهم للملك دعاء له :

« بالرفاء والبنين » أي بالالتئام والاتفاق وحسن الاجتماع .

قال ابن السكيت : وان شئت كان معناه بالسكون والهدوء والطمانينة ، ففي الحالة الاولى يكون الاصل « رفا » ، وفي الحالة الثانية يكون الاصل « رفا » آخره ألف من قولهم : رفوت الرجل اذا سكنته .

قالوا : رفاه ترفئة وترفيئا : دعا له : قال له : بالرفاء والبنين .

وقالوا . رقح بمعنى رفا . وفي الحديث : كان اذا رقح انسانا قال : بارك الله عليك .

ومن هذا الباب قولهم في الدعاء للعاطس : يرحمك الله .

وهو التسميت اي ذكر الله ــ عز وجل ــ على كل حال ، وقيل : معناه هداك الله الى السمت وذلك لما في العاطس من الانزعاج والقلق .

وقد سمته اذا عطس ، فقال له : يرحمك الله ، اخذ من السمت الى الطريق والقصد ، كأنه قصده بذلك الدعاء ، اي جعلك الله على سمت حسن .

ومـــن هذا الباب أيضا ما يقال للعاثر :

حوجا لك : اي سلامـــة .

ولمـــا كان الحديث عن العاثر فمن المفيد أن نشير الى ما جاء في هـــذا من قولهم :

التعس : العثر ، والتعس أن لا ينتعش العاثر من عثرته وان ينكس فـــي سفـــال .

قـــال أبو اسحاق في قوله تعالى : « فتعسا لهـــم واضل اعمالهم » ، يجوز أن يكون نصبا على معنى اتعسهم اللـــه . وقال الاعشى :

بذات لـــوث عفرناة اذا عثرت فالتعس ادنى لها من أن اقول لعا

ويدعـــو الرجل على بعيره الجواد اذا عثر فيقول : تعسا ! فـــاذا كان غير جواد ولا نجيب فعثر قال لـــه : لعـــا .

وقـــد يجتزأ من « لعا » بقولهم : عـــا لك عاليا للدعاء بالاقالة ، انشد ابـــن الاعرابي :

اخاك الذي ان زلت النعل لم يقل : تعست ، ولكن قال : عا لك عاليا

مـــا جاء في الدعاء في لفـــة التنزيل :

قـــال تعالـــى :

الا بعـــدا لعاد قوم هـــود ٦٠ هـــود .

الا بعـــدا لثمود ٦٨ هـــود .

الا بعـــدا لمدين كما بعدت ثمود ٩٥ هـــود .

والبعـــد هنا الهلاك ، وقوله : بعدت ثمود اي هلكت ، قـــال مالك ابـــن الريـــب :

يقولون : لا تبعـــد ، وهـــم يدفنونني وأيـــن مكان البعد الا مكانيـــا

وقـــد فرق في الفعل بين البعد بمعنى الهلاك ، والبعد بمعنـــى الابتعاد فقيل في الاولى « بعد » مثـــل « فرح » ، وفي الثانية : « بعد » مثل «كرم » وهذا شيء من لطائف هذه اللغـــة الكريمة . قال المتنبي :

ابعد بعدت بياضا لا بياض لـــه لانت اسود في عيني من الظلـــم

ومـــن الدعاء قوله تعالى :

تبت يـــدا ابي لهب

اي ضلتا وخسرتا ، وقـــال :

اخسر بها من صفقة لـــم تستقل تبت يـــدا صافقها ماذا فعـــل

ومـــن الدعاء ايضا قوله تعالى :

فتعسا لهـــم واضل اعمالهم ٨ محمـــد .

اي هلاكا لهـــم .

وقولـــه تعالـــى :

« واجعلني لـــك مخبتا » .

اي خاشعا مطيعا . واخبت للـــه اي خشع وتواضع .

وفي التنزيل العزيز : « فتخبت لـــه قلوبهم » أي تخشع .

ومـــن الدعاء ايضا قوله تعالى :

وآخـــر دعواهم ان الحمد للـــه رب العالمين ١٠ يونس .

« ولا تعدم الآيـــة الاولى من « الفاتحة ان تكون مفيدة للدعاء لدى مـــن يتلوهـــا :

الحمـــد لله رب العالمين .

ومثل هذا دعـــاء الصلاة : « لك الحمد ملء السموات والارض » .

ومـــن الدعاء أيضا قوله تعالى :

« دعواهم فيهـــا سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام » ١٠ يونس .

وقـــد يتوصل الى الدعاء بالمصدر « حمدا »فيقال : حمدا لك اللهـــم .

ومـــن الدعاء في لغـــة التنزيل العزيز :

« فسحقا لاصحاب السعير » ١١ الملـــك .

والسحق : البعد ، فكأن المعنى فبعدا لاصحاب السعير .

ومكـــان سحيق اي بعيد .

وفي التنزيل : « أو تهوي بـــه الريح في مكان سحيق » .

وحديـــث « السلام » مستفيض في لغـــة التنزيل ، وهو في آي كثير يراد بـــه الدعاء ومنه :

واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم .	٥٤ الانعـــام
ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكـــم .	٤٦ الاعـــراف
وتحيتهم فيهـــا سلام .	١٠ يونس
لقد جاءت رسلنا بالبشرى قالوا سلاما قال سلام	٦٩ هـــود
سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الـــدار	٢٤ الرعـــد
وسلام عليه يوم ولـــد ...	١٥ مريـــم
والسلام علـــــي يوم ولدت ...	٢٣ مريـــم
وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين	١٨١ الصافات

ومـــن الدعاء قوله تعالى :

« ربنا اطمس على أموالهم » ٨٨ يونس .

أي غيرها . وقد ورد « الطمس » في لغة التنزيل ومنه قوله :
« ولو نشاء لطمسنا على أعينهم »

وقال تعالى :

« الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب » ٢٩ الرعد.
ذهب سيبويه بالآية مذهب الدعاء .

ويحسن بنا أن نقف طويلا على كلمة « طوبى » التي أفادت الدعاء لنقول فيها شيئا وذلك لخصوصيتها واختلاف الاقوال فيها .

طوبى : فعلى من الطيب ، كأن الاصل « طيبى » فصير الى الواو لمكان الضمة فيها .

ويقال : طوبى لك وطوباك .

قال يعقوب : ولا تقل : طوبيك .

وجاء في « التهذيب » : ان العرب تقول طوبى لك ، ولا تقول طوباك .

وهذا قول اكثر النحويين الا الاخفش فانه قال : من العرب من يضيفها فيقول : طوباك .

وقال ابو بكر : طوباك ان فعلت كذا ،

قال : هذا مما يلحن فيه العوام ، والصواب : طوبى لك ان فعلت كذا وكذا .

وقالوا : طوبى : شجرة في الجنة .

وقرأ ثعلبة : « طوبى لهم وحسن مآب » فجعل « طوبى » مصدرا كقولك :

سقيا لـــه . ونظيره من المصادر الرجعى ، واستدل علـــى ان موضعه نصب بقولـــه :

« وحســـن مـــآب » .

وهـــو خلاف ما ذهب سيبويه الى ان موضع « طوبى » الرفع عطف عليـــه بقولـــه :

« وحسن مآب » مرفوعـــا .

قال ابن جني : وحكى أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني فـــي كتابه الكبير في القراءات ، قال : قـــرأ علي أعرابي بالحرم : « طيبى لهم » فأعدت فقلت : « طوبى » ، فقال : « طيبى » ، فأعدت فقلت : « طوبى » ، فقال : « طيبى » ، فلمـــا طال علي قلت : طو طو ، فقال : طي طي .

قـــال الزجـــاج :

جـــاء في التفسير عن النبي ـــ صلى اللـــه عليه وسلـــم ـــ : أن « طوبى » شجرة في الجنـــة .

وقيل : طوبى لهم حسنى لهم ، وقيل : خير لهم ، وقيل : خيرة لهم.

وقيل طوبى اسم الجنة بالهندية وقيل بالحبشية (١٧) .

وقال قتادة : طوبى كلمة عربية ، تقول العرب : طوبى لك ان فعلت كذا وكذا ، وانشـــد :

طوبى لمن يستبدل الطود بالقرى ورسلا بيقطين العـــراق وفومها

---

(١٧) قال الصاغاني : لعلى هذا ينبغي ان تكون في الهندية « توبا » بالتاء وذلك لان الطاء غير معروف في الهندية .

اقول : ومن قال : طوبى عربية فقد ادرك الصواب وذلك لا اصل « ط و ب ، ط ي ب » من الاصول العربية القديمة في العربية وسائر اخواتها من اللغات الساميه .

ومن الدعاء قوله — عز وجل — :

قال : اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ٦٧ البقرة

قالت : اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ١٨ مريم

قال : معاذ الله انه ربي احسن مثواي ٢٣ يوسف

ومن الدعاء ايضا قوله تعالى :

. هب لنا من لدنك رحمة ٨ آل عمران

والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين ٧٤ الفرقان

وقوله تعالى :

وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي ١٩ — النمل

وقوله تعالى :

قاتلهم الله انى يؤفكون ٤ المنافقون

ونجتزي بهذا القدر مما ورد من الدعاء في لغة التنزيل العزيز .

وفي الحديث : « طوبى للمفردين » اي الذاكرين الله كثيرا .

ما جاء من صور اخرى في كتب العربية وساوردها مرتبة بحسب اوائل المواد التي وردت فيها في تلك المظان :

اثر : جاء في دعاء امير المؤمنين علي بن ابي طالب — عليه السلام — على الخوارج قوله :

« ولا بقي منكم آثر » اي مخبر يروي الحديث .

ارب :

وفي حديث عمـــر ــ رضي الله عنه ــ : انـــه نقم على رجل قولا قاله ، فقال لـــه : اربت عن ذي يديك ، معناه : ذهب مـــا في يديـــك حتـــى تحتـــاج .

وفي خبر ابن مسعود : ان رجلا اعترض النبي ــ صلى اللـــه عليه وسلم فصاح بـــه الناس ، فقال ــ عليه السلام ــ : دعوا الرجل ارب مالـــه ، اي سقطت اعضاؤه واصيبت .

قـــال . وهي كلمة تقولها العرب ولا يراد بهـــا ، اذا قيلت ، وقوع الامر كما يقـــال :

عقرى وحلقى ، وقولهم : تربت يـــداك .

قال ابن الاثير : في هـــذه اللفظة ثلاث روايات :

احداها « ارب » بوزن « علم » ومعناه الدعاء عليـــه ، اي اصيبت آزابـــه وسقطت ، وهي كلمة لا يراد بهـــا وقوع الامر ، كما يقـــال : تربت يداك ، وقاتله اللـــه ، وانما تذكر في معنى التعجب .

قـــال : وفي هذا الدعاء من النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قولان : احدهما : تعجبه من حرص السائل ومزاحمتـــه .

والثاني : انه لمـــا رآه بهذه الحال من الحرص غلبه طبع البشرية، فدعـــا عليـــه .

وقـــد قال في غير هذا الحديث : اللهـــم انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائي رحمـــة .

امت :

قال سيبويه : قالوا امت في الحجر لافيك ، اي ليكن الامت في الحجارة لا فيك ،

ومعناه : ابقاك الله بعد فناء الحجارة ، وهي مما يوصف بالخلود والبقاء .

ورفعوه وان كان فيه معنى الدعاء ، لانه ليس بجار على الفعل ، وصار كقولك : التراب له ، وحسن الابتداء بالنكرة ، لانه في قوة الدعاء .

اقول : وفي هذه العبارة التي تنصرف الى الدعاء لون من الوان صلة اللغة واشكالها الادبية بالبيئة ، ومثل هذه البيئة البدوية الشيء الكثير الذي ابقته العربية في ادبها شعرا ونثرا ومثلا وغير ذلك .

اوب .

ويقال : للداخل : طوبة واوبة .

بؤس :

وقالوا : بؤسا له ، في حد الدعاء ، وهو مما انتصب على اضمار الفعل غير المستعمل اظهاره .

وقالوا : جوسا له وبوسا . والجوس الجوع وستاتي .

برك :

والتبريك : الدعاء للانسان او غيره بالبركة .

يقال : بركت عليه تبريكا اي قلت له : بارك الله عليك . وبارك الله الشيء وبارك فيه وعليه : وضع فيه البركة .

وفي التنزيل العزيز : وباركنا عليـــه .

ومـــن هذا ما هو جار في اللغة المعاصرة فهم يقولون دعاء : بارك اللـــه فيك ، وبورك فيك ، وبوركت .

بجـــل :

قـــال طرفـــة :

الا اننـــي شربت اسود حالكا الا بجلي من الشراب الا بجل

قـــال : اراد المـــاء ،

وقـــال شمر : وقيل اراد سقيت سم اسود .

بعـــد :

والبعـــد : الهلاك ، وقد مـــر في الكلام على لغـــة التنزيل .

بلس :

ويقال : ارانيك اللـــه على البلس . والبلس غرائر كبار من مسوح يجعل فيها التبن ويشـهر عليها من ينكل بـــه وينادى عليه .

تبـــب :

التب والتباب : الهلاك والخسران .

وتبا لك نصب على الدعاء كما تقول سقيا لـــك .

وفي حديث ابي لهب : تبـــا لك سائر اليوم ، الهذا جمعتنا .

وقـــد مر بنا هذا الدعاء في لغـــة التنزيل .

تـــرب :

يقال : تربا لـــه وجندلا ، وهذا من الاسماء التي تفيـــد الذات أجريت مجرى المصـــادر المنصوبة على اضمار الفعل غير المستعمـــل اظهاره في الدعـــاء .

وكانه بـــدل من قولهم :

تربت يـــداه وجندلت .

وفي الحديث : « ان النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ قال : تنكح المـــرأة لميسمها ولمالها ولحسبها فعليك بذات الدين تربت يـــداك » .

قال أبو عبيد : قوله : تربت يداك ، يقال للرجل اذا قـــل ماله : قد ترب أي افتقر ، حتى لصق بالتـــراب .

ومنه قوله تعالى : أو مسكينا ذا متربـــة .

قـــال : ويرون أن النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ لم يتعمد الدعاء عليه بالفقر ، ولكنها كلمة جارية على السن العرب يقولونها ، وهـــم لا يريدون بهـــا الدعاء على المخاطب ولا وقوع الامر بهـــا .

وقيـــل معناها لله درك ، وقيل : أراد بـــه المثل ليرى المأمور بذلك الجـــد ، وأنه أن خالفه فقد أساء .

وقيـــل : هو دعاء على الحقيقة ، فانه قد قال لعائشـــة ـــ رضي اللـــه عنهـــا :

تربت يمينك ، لانـــه رأى الحاجة خيرا لهـــا .

قـــال : والاول الوجه . ويعضده قوله في حديث خزيمة رضي الله عنه : أنعم صباحا تربت يداك ، فان هذا دعاء لـــه وترغيب في استعماله

ما تقدمت الوصية به . الاتراه قال : انعم صباحا ، ثم عقبه بقوله : « تربت يداك » .

وكثيرا ما ترد للعرب الفاظ ظاهرها الذم وانما يريدون بها المدح كقولهم : لا اب لك ، ولا ام لك ، وهوت امه ، ولا ارض لك ونحو ذلك.

وقال بعض الناس : ان قولهم : تربت يداك يريد به استغنت يداك .

قال : وهذا خطأ لا يجوز في الكلام ، ولو كان قال لقال : اتربت يداك .

ترك :

والتريك : العذق اذا نفض فلم يبق فيه شيء ، ولا بارك الله فيه ولا تارك ولا دارك كله اتباع .

وجاء في أراجيزهم المشهورة في شواهد العربية :

لقد رايت عجبا مذ امسا
عجائزا مثل السعالي خمسا
ياكلن ما في رحلهن همسا
لا ترك الله لهن ضرسا
ولا لقين الدهر الا تعسا

تعس :

لقد مر بنا في قوله تعالى :
« فتعسا لهم واضل اعمالهم » .
واصل التعس العثر .
وقال الشاعر :

وارماحهم ينهزنهم نهـز جمـة يقلن لمـن ادركن تعسا ولا لعـا

علـى أن استعمال « التعس » وارادة الدعاء فيه قد بقي في اللغة المعاصرة وان جهل المعربون انـه دعاء ، فيقال مثلا : تعسا لـك .

ويقال : تعسا لـه ونكسا .

والنكس والنكاس : العود في المـرض .

وفي حديث ابي هريرة : « تعس عبد الدينار وانتكس اي انقلب على رأسه ، وهو دعـاء عليه بالخيبة .

توس :

ويقال : توسا لك ، مثل قولهم : بوسا لك ، وقد مر بنـا ذلك .

تـوب :

التماس التوبة في احاديث الدعـاء كثير ، كقولهم : اللهـم اغفر لنا ذنوبنا وتـب علينا ...

وفي دعـاء السفر : يقال :

توبا لربنا اوبـا ، اي توبا راجعا مكررا .

ثكـل :

يقال في الدعاء على رجـل :

ثكلتـك امـك .

والثكل : المـوت والهلاك . والام ثاكل وثكول وثكلى .

وفي الحديث انـه قال لبعض اصحابه : ثكلتك امـك اي فقدتك ، والثكل فقد الولـد .

ولا يقـال : ثكلك ابوك .

على انـــه يقال في الدعاء : لا أب لك كما يقال لا أم لك .

وقال ابو علي : « لا ابـــا لك » كلام جرى مجرى المثل ، وذلـــك انك اذا قلت هذا فانك لا تنفي في الحقيقة ابـــاه ، وانما تخرجه مخرج الدعاء عليه ، اي انت عندي ممن يستحق ان يدعى عليه بفقد ابيـــه ، وانشد توكيدا لمـــا اراد من هذا المعنى قوله :

ويترك اخرى فردة لا اخا لهـــا .

ولـــم يقل : لا اخت لها ، ولكن لمـــا جرى هذا الكلام على افواههم : لا ابـــا لك ولا اخا لك قيل مع المؤنث على حسد ما يكون عليه مع المذكر ، فجرى هذا نحوا من قولهم لكل احد من ذكر وانثى او اثنين او جماعـــة :

الصيف ضيعت اللبـــن .

ويؤكـــد عندك خروج هذا الكلام مخرج المثل كثرته في الشعر ، وانه يقال لمـــن له اب ولمن لا اب له ، لانه اذا كان لا اب له لم يجـــز ان يدعى عليه بما هو فيه لا محالة ، الا ترى انـــك لا تقول للفقير افقره اللـــه ؟ فكما لا يقول لمـــن لا اب له : افقدك الله اباك ، كذلك تعلم ان قولهم لمـــن لا اب له : « لا ابـــا لك » لا حقيقة لمعناه مطابقة للفظـــه ، وانما هي خارجة مخرج المثل على مـــا فسره ابو علي ، قال عنترة :

فاغني حياءك لا ابا لك! واعلمي اني امرؤ سأموت ، ان لم اقتل

وقـــال المتلمس :

الق الصحيفة ، لا ابالك ، انـــه يخشى عليك من الجباء النقرُس

ويدلك على ان هـــذا ليس بحقيقة قول جرير :

يـــا تيم تيم عدي لا ابـــا لكم لا يلقينكم في سوءة عمـــــر

فهـذا أقوى دليل على أن هذا القول مثل لا حقيقة لـه ، الا ترى أنـه لا يجوز أن يكون للتيم كلها أب واحـد ، ولكنكم أهل للدعاء عليـه والاغـلاظ لـه ؟

وروي عن النضر بن شميل : أنـه سأل الخليل عن قول العرب : لا أبـا لك ، فقال : معناه لا كافي لـك .

وقـال الفراء : قولهم : « لا أبـا لك » كلمة تفصل بهـا العرب كلامهـا .

أقـول : ومقالة الفراء ذات قيمة ولـو انك قرأت قول زهير :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا ، لا أبا لك ، يسأم

أحسست أن قوله : « لا أبـا لك » كلام معترض لا يـدل علـى خصوصية معنوية ، بل هو تعبير جميل استحسنوه فاستعملوه كثـيرا وأقيم بـه الوزن في البيت .

الا ترى أن قولهم في الشعر : هديت ووقيت ونحوهما شيء يتم بـه الوزن وليس من ارادة للدعاء .

أما قولهم : لا أم لك فقد ورد في حديث ابن عباس أنه قال لرجل :

« لا أم لك » قـال : هو ذم وسب ، أي أنت لقيط لا تعرف لك أم ، وقيل قد يقع مدحا بمعنى التعجب منـه .

أقـول : وهذا الشيء الاخير ، وهو أن عبارة الذم الدعائية يراد بهـا المدح ، جارية في الالسن العامية الدارجة ، الا تراهم يقولون : يخرب بيتك او انهجم بيتك ، او اللـه يلعنك ارادة المدح على طريقـة التعجـب ؟

ثلـــب :

والإثلب أو الاثلب : التـــراب .

وقالوا : بفيه الاثلب على الدعاء ، كانهم قالوا بفيه التراب أو الحجر .
وقالوا : الاثلب لك والتراب ، والنصب على الدعاء كانـــه مصدر .

وهكـــذا نرى أن « التراب » وما في معناه او يقرب منه قد دخل في اللغـــة القديمة في السب والشتم والذم فخرج على الدعاء ، وقد مـــر بنـــا قولهم : تربت يداك .

جحـــد :

والجحد : القلة من كل شيء .

ونكدا لـــه وجحدا دعاء عليه .

جـــرب :

والعـــرب تقول في دعائها على الانسان : ما لـــه حرب وجرب .
والحرب كالكلب ، وقوم حربى كلبى والفعل كالفعل .

والجرب معروف .

جنـــدل :

انظر : تربـــا وجندلا الذي مر بنا قبل صفحات .

جوس :

انظـــر « بؤس » .

حـــرب :

انظـــر جـــرب .

حـــر :

تقول العرب : ما لـــه احر الله صدره ، وذلك في الدعاء علـــى الانســـــان .

ويقولون ايضـــا

رمـــاه الله بالحرة والقرة ، اي بالعطش والبرد .

حلـــق :

ومـــا يدعى على المـــرأة قولهم : عقرى حلقى وعقرا حلقا اي عقرها اللـــه وحلقها اي حلق شعرها او اصابها وجـــع في حلقها .

حـــوب :

قالوا : اليك ارفع حوبتي اي حاجتي ، وفي روايـــة : نرفع حوبتنا اليـــك .

وفي الدعاء علـــى الانسان :

الحق اللـــه بك الحوبة ، اي الحاجة والمسكنة والفقـــر .

حـــوج :

يقال للعائر : حوجا لـــك اي سلامة ، وقد مـــر بنا هذا .

خضر :

ويقال في الدعاء : ابـــاد الله خضراءهم ، اي سوادهم ومعظمهم ، وقيـــل : خصبهم وسعتهم .

وقالوا ايضا : رمى اللـــه في عيني فلان بالاخضر ، وهو داء يأخذ العيـــن .

خطـا :

في حديث ابن عباس : انـه سئل عن رجل جعل أمـر امراتـه بيدها فقالت : انت طالق ثلاثا . فقال: خطأ اللـه نواها الا طلقت نفسها .

ويقال لمن طلب حاجة فلم ينجح : اخطأ نوؤك ، أراد اللـه نواها مخطئاً لا يصيبها مطره .

ويروى : خطى اللـه نواها ، بلا همز .

خلـب :

وفي حديث الاستسقاء : اللهـم سقيا غير خلب .

خـير :

ومـن دعائهم في النكاح : على يدي الخير واليمن .

ذرا :

وجاء : اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذرا وبرا .

رفـا :

قالوا : بالرفاء والبنين في الدعاء للملك وقد مر بنـا انظرها قبل صفحـات .

رفـح :

انظر الموضوع نفسه (رفـا) .

رقـا :

وروى المنذري عن ابـي طالب في قولهم : لا ارقـا الله دمعته ، قـال : معناه لا رفع اللـه دمعته .

وفي حديث عائشة ــ رضي الله عنها ــ : فبت ليلتي لا يرقأ لي دمع .

ورقأت الدمعة ترقــا ورقوءا : جفت وانقطعت .

سحــق :

ويقال : سحقا لهــم اي هلاكا ، وانظر ما جاء من هذا في لغــة التنزيل مما افــاد الدعاء وقد ذكر قبل صفحات .

سلــم :

مــر بنا حديث « السلام » ودلالته في الدعاء في جملة آيات كريمة .

طمس :

مــر بنــا في الكلام على ما في آي القرآن من الدعــاء .

طــوب :

سبق الكلام على « طوبى لهــم » .

ظبــي :

(وانظــر عــدد) :

وقولهم : بــه لا بظبي ، يراد بــه الهلكة كما ورد في قول الفرزدق يخاطب مسكينا الدارمي وكــان قد رثى زياد بن ابيــه فقال :

أمسكين ، ابكى الله عينك انما جرى في ضلال دمعهــا فتحدرا

أقول لــه لمــا أتاني نعيــه بــه لا بظبي بالصريمة اعفــرا

أتبكي امرءا من آل ميسان كافرا ككسرى على عدانه أو كقيصرا

عشــج :

وجــاء في تلبية بعض العرب في الجاهلية :

لا هـم لولا ان بكرا دونكا
يتعبـدك النـاس ويفجرونكا
مـا زال منـا عثج ياتونكا

والعثج ، بفتحتين ، : الجماعة مـن الناس .

عقـر :

انظـر « حلق » .

وجـاء أيضـا :

وقالت أم سلمة لعائشة ـ رضي الله عنها ـ عنـد خروجهـا الـى البصرة :

سكن اللـه عقيراك فلا تصحريها ، اي اسكنك اللـه بيتك وعقارك وسترك فيه فـلا تبرزيه .

عمـي :

قالوا : واذا ارشدك انسان الطريق فقل :

لا يعـم عليك الرشد .

وهو دعاء لـه بالخير والهدى .

عمـر :

وعمره اللـه وعمره اي ابقاه ، على الدعاء .

غبـط :

وجـاء في الدعاء : اللهم غبطا لا هبطا ، اي نسالك الغبطة ونعوذ بـك ان نهبط عن حالنا .

غـــرب :

وجـــاء في دعاء ابن هبيرة :

اعوذ بك من كل شيطان مستغرب وكل نبطي مستعرب .

غضر :

ويقال ابـــاد الله غضراءهم ، اي سعتهم وخصبهم .

غفـــر :

غفار ! غفر الله لهـــا .

قال ابن الاثير : يحتمل ان يكون دعاء لهـــا بالمغفرة او اخبارا ان اللـــه تعالى قد غفر لهـــا .

غـــور :

وقالوا : غارهم اللـــه بخير اي اصابهم بخصب وغيث .

وفي الدعاء : اللهـــم غرنا منك بغيث وبخير .

فـــدي :

ويقال : فدى لـــك اهلي ، على الدعاء اي يفديك اهلي .

ويقال : فداك ابي كمـــا يقال : فديت .

وكثيرا ما نقـــرأ : جعلت فداك .

وانشد الاصمعي للنابغـــة :

مهلا ! فداء لك الاقـــوام كلهم ومـــا اثمـــر مـــن مال ومـــن ولد

ومنـــه قول نفيلة الاكبر الاشجعي (أزر) :

الا ابلغ ابـــا حفص حفص رسولا فدى لك من اخي ثقـــة ازاري

قتـــل :

انظر ما جـــاء من أسلوب الدعاء في أدب القرآن الكريم .

قـــذي :

وجـــاء قول جميل :

رمى الله في عيني بثينة بالقذى وفي الغـــر من انيابها بالقوادح

قـــرر :

ويقال : أقر الله عينه ، من المقرور وهو الماء البارد .

كتكـــث :

وروي عن صفوان بن أمية انـــه قال يوم حنين عند الجولة التـــي كانت من المسلمين ، فقال ابـــو سفيان : غلبت والله هوزان ، فأجابـــه صفوان وقـــال :

بفيك الكثكث لان يربني رجـــل من قريش أحب الي من ان يربني رجـــل من هوزان .

كـــلا :

وقـــال الشاعـــر :

ان سليمـــى واللـــه يكلؤهـــا ضنت بزاد ما كان يرزؤها

لحـــي :

وفي حديث لقمان : نلحيا لصاحبنا لحيا أي لومـــا وعذلا ، وهو نصب على المصدر كسقيا ورعيـــا .

وقال عنتـــرة :

الـــم تعلم لحاك اللـــه اني اجـــم اذا لقيت ذوي الرماح

لقـــي :

انظـــر « ترك » .

نفس :

وجـــاء في الدعاء : اللهم نفس عني ، اي فرج عني ووسع علي .

نكـــد :

انظـــر « جحـــد »

هبـــل :

الهبل : الثكل ، وهبلته امـــه بمعنى ثكلته .

وهبلتك امـــك على الدعاء .

وفي حديث عمر ـــ رضى الله عنه ـــ حين فضل الوادعي سهمان الخيل على المقاريف فاعجبه فقال : هبلت الوادعي امـــه لقد اذكرت بـــه !

فالثكل هو الاصل في المعنى ، ثم يستعمل في معنى المدح والاعجاب، يعني ما اعلمه وما اصوب رأيـــه .

وفي حديث الشعبي : فقيل لامك الهبـــل .

هنـــا :

وقالوا : هنئت ولا تنكأ ، اي هناك الله بما نلت ولا اصابك وجـــع .

وقالوا : لا هناك المرتـــع ، اي لا اصبت خيرا .

هــوي :

وقال كعب بن سعد الغنوي يرثي اخاه :

هوت امه ما يبعث الصبح غاديا ومــاذا يؤدي الليل حتى يؤوب

ومعنى هوت امــه اي هلكت امــه .

ومــا زال هذا الدعاء معروفا لدى الامهات في العراق في لغتهــن الدارجة حين يعلمن بوفاة شاب يقلن : ماتــت امه.

ويــب :

كلمة مثل ويل يراد بهــا التعجب .

ويبــا لهذا الامر اي عجبا .

وويبا لزيد مثل وويلا لزيــد .

ومنــه قول كعب بن زهير :

الا ابلغــا عني بجيرا رسالــة علي اي شيء ويب غيرك دلكا ؟

ويــل :

كلمة مثل ويح الا انهــا كلمة عذاب ، ومن هنا وردت في اسلوب الدّعاء في قولــه تعالى :

ويــل للمطففين ...

وقولــه : ويل لكل همزة لمــزة .

وفي آيــات اخرى :

وقالوا : ويلمه والاصل : ويل لأمه فحذف اللام ثــم الهمزة وركبت الكلمتان على طريقة النحــت .

ومـــن اقوال النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ : ويلمـــه مسعر حـــرب .

اقـــول : هذه نماذج بل شذرات من العربية مما استقريته مـــن « لسان العرب » وغيره تشتمل على أسلوب الدعـــاء في العربية .

وعندي ان الالفاظ التي تقدم بين يدي الملـــك والامير والرئيس والعالم الجليل وغير هؤلاء من اهـــل الشان ضرب من أسلوب الدعـــاء في العربية المعاصرة نحـــو :

جلالـــة الملـــك .

ومعالي الوزيـــر .

وسيادة الرئيس أو فخامته .

وسعادة الامـــير .

وسماحة العالم ، ونيافة الحبر .

وبعـــد الم يتوصل النابغة الذبياني الى النعمان مخاطبا بقوله :

اتاني ابيـــت اللعن انك لمتنـــي وتلك التي تبتك منها المسامع

ثـــم اني قد وجدت من فيض هذه العربية السمحة ما يحق للمـــرء ان يمـــلأ ماضغيه فخرا اذا قـــرأ مستهتعا بعض مـــا ورد من بيـــان التوحيدي في « اشاراته الالهية » فوجد من مـــادة الدعاء اعلاق العربية النفيســـة .

اللهـــم اني قد خدمت كتابك الكريم واللغـــة العلية التي جاءت فيه فاكتبني مـــع الصالحين .

د. ابرهيم السامرائي